
أحزان عازف القيثار
ليث الصندوق

811/92
ص 949الصندوق ، ليث
أحزان عازف القيثار : شعر /
ليث الصندوق . – بغداد :
2007
ص ، 23سم
1 - الشعر العربي – العراق
أ . العنوان
م . و
2007/71

ألمكتبة الوطنية (ألفهرسة أثناء النشر)
رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 71 لسنة 2007

ألطبعة الأولى – بغداد 2007
لوحة الغلاف للشاعر
تصميم الغلاف : المهندس ياسر ليث الصندوق

أحزان عازف القيثار

ليث الصندوق

شعر

طبعة ثانية

منشورات دار العباد للطباعة والنشر
2007

إلى أخي يونس
لقد كنتَ متعجّلاً طيلة حياتكَ القصيرة ،
فختمتها بالنزول من القاطرة في أول محطة .

في حدود الحبّ

بيتُ العائلة

بعنا ذاتَ يوم بيتَ العائلة
وتشرّدنا في الأزقة
أصبحَ البيتُ الكبير
ثلاثَ سِلالٍ من الخوص
إنطفأتْ مصابيحُ النيون
وأثمارُ النارنج
وحُرمنا من المؤتمر الذي يبدأ دون جدول أعمال
وينتهي دون قرارات حول مائدة الطعام
كانت خسارتنا الكبرى في الذكريات
فقد هاجرت مع أسراب السنونو
وقتلها في غربتها الصيّادون
هربت الكراسي كالعصافير من النوافذ

وتحوّلت الأسرّة
الى مدارج لطائرات الكوابيس
أحدُ أخواني ماتَ
والأخرُ خسرَ بيته وأسرَتَه
أما الباقون
فما زالت أصابعُهم تدمى على أقراص الهاتف
بعنا السيارات والاثاث
وأكلنا أيادينا وثيابنا
وسمحنا للقتلة واللصوص
أن يلحسوا صحوننا بألسنتهم القذرة
إلتفتنا الى الوراء متسائلين:
تُرى من نكون ؟
فقد وارى التراب أثارَ أقدامنا
لا سياجَ
لا شرفةَ
لا مدخنة
حتى مغسلةُ الحمام
التي حملناها كأطفالنا على الأكتاف
إنتحرتْ كالأيّل العجوز

حاولنا الرجوعَ إلى الماضي
قفزاً على أنوفنا
لكن الطريقَ لم تعد سالكة
فقد نبشتها المحاريث والجرّافات
أما بيت العائلة الذي تركناهُ على القمّة
ونزلنا إلى القيعان
فما عاد بإمكاننا الصعود إليه من جديد
ما لم تسقط من أجسادنا أطرافنا المشلولة
وتنمُ مكانها أطرافٌ من الفولاذ
مُزوّدةٌ بدلَ الأصابع
بخطافات ،
ومفكّات ،
ومثاقب

أحزانُ عازفِ القيثار

لم أرَهُ يومَ رحيله
ستبقى ذكراه تقرع ناقوساً فوقَ سريري
فقد ترك في طيّة فراشي جراحَهُ ومات
كلما أوشكتُ أن أنساه
سحبني بحبلٍ إلى ابتسامته
فعيناه مازالتا معلقتين على صدري
كقلادة تقطر دماً

*** * ***

انها الحرب
حولتْ جدرانَ البيوت
إلى معارضَ لصور الغائبين

من كل شبر
تطلّ عيونٌ معاتبةٌ
وداعاً لمن رحلوا
ولمن ينتظرون

*   *   *

صورتك وانت تعزف على القيثار
غائمةٌ
كأنها في ظلّ سحابة
قيثارُكَ قفصٌ مليءٌ بالبلابل
حمَلتْهُ بعدَكَ الملائكةُ إلى السماء
ظلّ البيتُ مفتوحاً للعاصفة
والستائرُ تحولتْ إلى أكياسٍ لنوم الأشباح

*   *   *

عادَ الجميع إلى بيوتهم
العصافيرُ
واللصوصُ

وأرواحُ الموتى
وسادَته وحدها ظلت باردة
أمي انتظرت في الباب
حتى تهرّأ وشاحُها
وكفّاها المجمّدتان
إنفرطتا كحزمتين من العِصي
ألنجومُ المتساقطةُ كالأحجار
حفرتْ في جباه الساهرين أخاديداً
والليل الذي نَسَلَ خيوط خيمته المهترئة
عادَ لينسجَها من جديد
كان موسمُ البرد في ذروته
يجرُّ على ظهورنا قاطرة فولاذية
محملةً بالصّوف والمطر

*** * ***

ذرفنا من الدموع
ما اختزنا طيلة ثلاثين عاماً

*** * ***

وداعاً أيها الوجه المضئ
كمصباحٍ في أعماق المياه
لقد آثرتَ ان تُدفَنَ في التراب
على أن تعيش معنا
تحت سقف مُحترق

ألملول

مَللتَ من الموت
فتحيّنتَ ساعة َنومي
لتدخلَ بيتي من النافذة
وادّحرجت في الممرات عيناكَ
مثل كُرات الزجاج
لماذا طويتَ الفِراشَ
وغصتَ بموجة ِ قار ؟
ولِمْ أعتمتْ مقلتاكَ ؟
(ما بين جفنيهما
كانَ مَهوى الشُهُب)
ذراعاكَ موثوقتان بحبل الشفق
ورأسُكَ
منغرزٌ بالمسامير فوقَ صليب

وفي شعرك الكثّ تنكسر النجمات
كَبَيض اليمام
*** * ***
تعودُ إليّ مساءً
لتدفنَ رأسَكَ تحت قميصي
وتُشاركَني رئتي باقتسام الهواء

*** * ***
لقد ضقتَ بالموت ذرعاً
كما ضقتَ يوماً بهذي الحياة
مَلولٌ
تنقّلُ خطوكَ بين النجوم
كأنّ السواقي مُعَبّدةٌ بالجِمار
وإنّ النجومَ التي تتنقّل ما بينها
بُقعٌ من غِراء
عيناك داميتان
فدمعهما كِسَرٌ من زجاج

1991

ألنديم

أراكَ قريباً
وأنتَ بعيدٌ
ونجمُكَ يهوي بصحن الحَساء
وخلفَ الغيوم
التي اتسختْ من غناء الملاهي
مدائنُ جائعةٌ
وحدائقُ محروقةٌ
وسواقٍ بها قد طفتْ جثث الغارقين

*** * ***

من أجل كل الغناء الجميل
تموتُ بصمتٍ
وغيرُكَ من أجل قيءِ الملاهي

يدقّ الطبول
ولكنّ أهل الملاهي سيحتفلون بأعيادهم
وفي الصخر يحتفرون السواقي لضحكاتهم
ووجهك تأكله الشمس نيئاً

* * *

عيناك دونَ جفون
وقلبُكَ صاريةٌ من غصون الندم
وروحُك خفاقةٌ
مثلُ رايات جيشٍ أسير
ولكنّ عاصفةَ الوهم
تركزني فوق قبركَ
كي ما أدلّ عليك الدبيب

1991

ألصقر

" كان السلاجقة يكتبون على قبور موتاهم باللغة الأرخونية عبارة " لقد أصبح بازاً أو صقراً"

... ومنذ أن حطّ على كتفيَ ذاك الصقر العجوز
ونفخ الدخان في أنفي
(دخانَ سيكارته)
مذ ذلك اليوم وروحي تستطيب الندى
ومقلتي لم تبرح القمم
وفي شفاهي تغطس الرعود
مثل حديد ساخن في الثلج

* * *

أنا وهذا الصقر العجوز صرنا واحداً
مخلبُهُ شقّ على جلديَ ودياناً من القصدير

وفجّرتْ عيناه في سريرتي قنابل الطموح
ولم أعد أسعى على رجليَ
مذ لصّقّ فوقي ريشه
محرّضاً بي الطائر المذعور أن يطير
*** * ***
نافذة في غرفتي
مفتوحة دوماً على الرياح والأمطار
فلِمْ تُرى أفتح أبوابيَ للعاصفة ؟
ولِمْ تُرى أفرش – كي تغفو – لها السرير ؟
وهي التي
تهدّ سقف الليل بالمطر
وهي التي تطرد أحلامي من البيت
لكي تسكنه الأشباح
لقد حَملتُ وزرَ آلافٍ من السنين
ولم يزل عظميَ من ليونة
تكسره قساوة القماط
*** * ***

صديقيَ العجوز

يا صقراً نتّفَ قطنَ الغيوم
ووسّعَ الأعشاشَ كي توكّرَ الزوبعة
وخالطت دمعته الصهيرَ في فوّهة البركان
وكلما شقّ المدى
تطايرتْ من ريشهِ النجوم
أليومَ لم تبقِ لك الأقدار إلا كَتِفي
تلقي عليها صُرّة السَفر
لا تبكِ ، هذا منطق الحياة
من أجل أنْ تنمو البذورُ تُحرَقُ الغابات

أصدقائي المتعبون

بالرغم مما يعتري نهارَهم من غبرة
وما على أكتافهم تنبتُ من أشواك
لمّا تزلْ أفواهُهم
مملوءةً كأنها الأقفاص بالبلابل
*** * ***
بالرغم من قاطرة
تمضي كسهم طائش لعتمة الزمن
نافثةً من رئة مملوءة بالدخان
فلم تزل أحداقهم
تضيءُ في مساء أحزانيَ كالنجوم
*** * ***

بالرغم من أحمالهم
تلك التي تدفنهم في الأرض حتى الرُكَب

فإنهم أعمدةٌ
تُمسِكُ - تحتَ العصف - بالسقوف
أرواحهم تطير أسراباً من الأنبياء
ومن شعاع الشمس في أحداقهم
تخجل أفعى الجحور

*** * ***

بالرغم من نحولِهم
فإنهم أشبَهُ بالسور الذي يَحتضنُ المدن
هيهاتَ أن تخطئَهُ الطلقات

1994

سقوط نيزك في المدينـة

كأنّا ما التقينا بعد عمر من أخوّتنا
سوى وقت الوداع
وكأنّ كفي ما تلمّستِ الصباح اليك
وأعصابي التي شُدّتْ إلى فرن
تعود لتهتري
شوقي إليك يُزلزلُ الطرقات
فافتحْ – لأنشدَ – بابَ جنات فِساح
أو رُدّ لي روحي التي
لهثتْ على الأحجار تحت الشمس

*** * ***

هل متّ حقاً ؟
أم تُرى
إن الرياحَ هي التي
قد أطفأتْ في صدرك القنديل ؟
هل غِرتَ من هَزَلِ الغيوم
فتُهتَ كبَجعة خلف البحار ؟

*** * ***

... وسواءَ متّ اليومَ أو لمّا تمت
فنقاءُ عينك يستثيرُ شهيّةَ الغزلان
وغبارُ خطوك سوف يعمي السارقين
ألرابضين كما الضباعُ على القبور
لا بأسَ ، فالأمواتُ من أكفانهم
لا بُدّ يوماً يضفرونَ فتائلَ القنديل

1992

عزفٌ منفرد

كلّ ما أعرفه
انكَ قد جئتَ على طائرة الوهم
لكي تطلقَ أحلامَك في غاباتِ أحلامي
وكي تصمي الشجيراتِ
وتردي كلّ فرسان الظلام
أيّ عطرٍ أنتَ قد ضفرتَهُ حبلاً
لكي توثق أطرافي به ؟
أيّ ذكرى
أنت قد حرّرتها من قفص الماضي

لكي تحبسَها في قفص ِالحاضر ؟
أو تحبسنا نحن معاً في اللازمان
هل ترى أنت الذي أيقظتني
كي تسرق الأحلام من عيني ؟
أم أنت الذي
صيّرت ألاميَ زيتاً لفوانيس الجنان
أم ترى أنت الذي اصطدتَ طيورَ الوهم
كي أفقدَ حسّي بالأمان
لم تزل تُربكني خطواتُك المبهمة ُالوقعِ
كأني نجمةٌ
تقفز من سُكْر على (خيط) الكمان
فرشت ساحرة ُالبردِ
عباءاتِ الثلوج السودِ فوق الشرفات
والغيومُ احتشدتْ في الباب
تسترحمني الدفءَ دِثاراً
ومكانْ
وأنا أصغي إلى أنفاسك التعبى بصدري

وإلى النبض الذي
يجمُدُ في خاتمة الشوط
كأفراس الرهان
وإلى كفّ
على أوردتي تعزفُ موسيقى الحنان

1993

ألذين لم يولدوا بعد

نفكّر فيمن يجيئون من بعدنا بأسى
كأنهمو يرحلون
ونحن نجيء
بأولادنا المقبلين
إذا بلغوا في الصعود السقوفَ
تهاووا إلى القاع
ثمّ مَضوا يصعدون سلالمهم من جديد
* * *
نفكّر فيمن يجيئون من بعدنا بأسى
بأولادنا المقبلين
وهم يخرقون الجدار بأنفاسهم

أو يلجونَ ثقوبَ الإبر
لقد بدتِ الطرقات بدون المصابيح
مثلَ القبور
ننقلُ أقدامنا فوقها بحذر
مخافة أن تتهشّم
مثلَ قناني الزجاج على الأرصفة

1994

خشبة الغريق

إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكُفر : خذني معك
" أبو ذر الغفاري"

أخرجُ أطرافيَ من ثقوب جدراني
لأضرمَ النيران في الشمس التي
تكاد أن تنطفي
ألوحش يعوي
وعلى كتفي أظفاره
وتحت أنقاض المباني
تحتمي أحلاميَ الخائفة
لمّا أعد أبكي
قد لعقتْ آخرَ دمعةٍ على قلبي كلابُ الليل

* * *

فلتخرجي من تحت أثوابي
ولتطلقي سِربَ السنونو
من فمي المليءِ بالأشواك
لا تشتكي من الزمن
فسُوطه ليس الذي حوّلنا
في عتمة القبو إلى عناكب
حبيبتي الصغيرةَ الحالمة
ألنبعُ في راحتيك
والشمس تهوي دون أن تُكسرَ
من أعلى المباني الشاهقة

*   *   *

لو عُدتِ في الشتاء
وفي ضلوعي يصفر الجليد
فانتقلي كنحلة ما بين أمسي وغدي
فمن ترى غيرك قد يبدّد الوحشةَ
بالطرقِ على الأبواب

ويُرجع الشبابَ للسرير في صينية
معِ زبدة الفطور

*** * ***

واقفةٌ
كراية النصر على أنقاض أرض
حرثتها الحرب والزلازل
وحولكِ الدخانُ والقتلى
نارُك في الوديان
تذروها الرياحُ الهوج
وصوتك العائدُ معْ ترتيلةِ الفجر إلى القرى
يغسلُ عن قلوبنا النعاس

1994

صداقات

أردتُ أنْ أصادقَ القنديل
لكنني كنتُ بلا درعِ
أرى للنور في خوفٍ
كأنّ نابَهُ
يوشِكُ أن يثقبَ لي عظمي

* * *

أردتُ أن أصادقَ البيوت
لكنني هربتُ من أشباحِها
لأنها ليست سوى (مقابرٍ)
توقد في باحاتها الشموع

* * *

أردتُ أن أصادق العصفور
فقال لي :
أهلي وصحبي يأكلون الريح
ويلبسونَ الغيمَ والأمطار
فهل ترى تقوى بأن تنزعَ ما تلبسُ من هموم ؟
حاولتُ ،
لكن لم أزلْ أرزحُ تحت القيد

*** * ***

أردت أن أصادقَ الأنـهار
وأطلقَ الأسماكَ في أوردتي
تسبحُ ،
أو تفقسُ ،
أو يلقي لـها الصيادُ في عينيَ صنارتَهُ
لكنني من جزع
أيبسُ قد كنت من الأعماق

*** * ***

أردتُ أن أصادقَ الحرّاس
لكنني خشيتُ أن تطحنني عيونـهم
فهيَ كما عهدتـها رَحى

* * *

أردت أن أصادق اللصوص
لكنني خشيت ـ لو غفوتُ ـ أن تسرقني كفي

* * *

أردت أن أصادق السُراة
لكنني شربت من كؤوسهم
ما كنتُ قد عتقتُ من دموع

* * *

أردت أن أصادق المعدمين
لكنني وجدت نفسي بينهم
أفقرَ من يمشي على رجلين

* * *

لمّا أزلْ أبحثُ في الظلمة عن صديق
أنزلُ في مناجم الماس
وبينَ أضلعي قنديل

1996

حِوار

أحاور هذي الحصاة
وأحملها معَ همّي
ولو أنا خُيّرتُ بين العزيزين
كنتُ تخليتُ عنه
وما كنت يوماً تخليت عنها
تقول الحصاة : كلانا تحدّر من قمة
فهو ليس يعود إليها
وما زال في سعيه يتدحرج نحو القرار
تشبّثْ
وإن كنتَ تعلم أن مصير كلينا إلى هاوية
*** * ***
أحاور تلك النجوم
وأطلب منها الدنوّ لأسمعَ نبضَ الضياء ،

عندئذ سوف تتركُ موقعَها في السماء ، وتسكنُ بيتي
تأكلُ خبزي
وتجمعُ تحت لحافيَ أطفالها : شهباً ورجوماً
وفي ليلة القرّ
نفتلُ حَبلَ تعلقنا بالفراغ
قالت : كلانا تخيّرَ ظلمته
وبأعماقه كومةٌ من درارٍ
ولم نأسَ يوماً على العُمر
كالشمع قد ذاب في الظلمات
وقالت : رصدنا دموعَك من شاهق
وفيك الذي هو فينا : أسىً ، وشموخ
وحين تموتُ
سينسُلّ من كفن مترب ٍخيطُ ضوءٍ
ليرفو ستائرنا

*** * ***

أحاورُ أنّى التفتُ الترابَ
وأسمع أنفاسَ موتاي فيه .

شعوبٌ تنامُ بطيّته
فلو هبّتِ الريحُ يوماً عليهم
ستقادهم للنزال جموعاً من الثائرين

*** * ***

أحاور بين يديّ الغيوم
وراعي الرياح يسوقُ شياهَ المطر
وأصغي إلى أنهر لم تزلْ في أسار
وأرحلُ
من دون أن تتخلى عن الدفء أغطيتي
لأشهد من شاهق
مدناً تستنيم على فجرها
وأخرى تعلق أكبادَ أطفالها في سُفود

*** * ***

أحاور هذا الجدارَ الذي يستحيل تسلقه
ولكنّ أضواءَ روحيَ تنفذ منه
كأنّ حجارتَهُ من زجاج
يقصّ حكايةَ من حاولوا هدمه
ولكنهم دُفنوا في أساساتِهِ كالذباب

حكايةَ َمن شيدوا مجدَهُ
وكالملحِ ذابوا بكأس القدر
حكايةَ َظِلّ
تعلقهُ الشَمسُ فوق المشاجب صبحاً
وترفعُهُ في المساء
ومن رشقات البنادق بالدمِ تطلى حجارته

*** * ***

أحاور خدني الجماد
لصيقي الذي أينما أتوجّهُ
أسمعُ تسبيحَهُ
كلانا يُصلي
لأرضٍ ِتدورُ كمروحةٍ نحوَ موتتها
أحاور
حتى ليفحمني في حواري الحجر
ولكنني لم أزل طامحاً في حوار البشر

1998

إمتنـان

- 1 -

أنا ممتنٌ لنـهر
حَلّ في أرضيَ من بعد اغتراب
ملقياً قفطانَهُ المنقوعَ بالوحل
على العُشبِ اليبيس
غيرَ إنّ النجمَ أغراهُ ببيتٍ
فمضى عني
بما يحملُ من دُرّ ، وأسماكٍ ، وغرقى

- 2 -

أنا ممتنٌ لعصفورٍ صَغير
مَرّ بي يوماً

فلم يعبأ بتَصخابي وظلي
مُنشداً
ما لقنتهُ قينةُ الغربةِ من نَوْحٍ
إلى عشبِ السواقي
ونأى
كالطلقة الصمّاء في كومة قطن
منذ ذاك اليوم أغلقتُ عن الألحان أذني
باحثاً عن غنوة
تسقط في روحي كما تسقطُ نارٌ
فوق أكوام العتاد

- 3 -

أنا ممتنٌ لحب
حلّ في عُمري من بعدِ ذبول
نافخاً في جسدي الميّتِ روحاً
هاتفاً : أخرجْ
لكي تضرمَ في ليل الكوابيس اللهيب

وعلى سكّتِهِ سارَ قِطاري
فبلغنا فجرنا قبل مواعيد الصلاة

- 4 -

أنا ممتنٌ لما قد جُبلتْ نفسي عليه من عناد
لم تقل لي ـ حين أشرفنا على المهوى ـ :
كفانا ، فلنعُدْ

1994

ألخروج من سلطة الضدّ

إحتجابُ الرجالِ المهذبين

ولِمَ لا
إنهم رجال مهذبون
يلبسون سراويلهم برؤوسهم
وفي أقدامهم القبعات
متحضّرون أمام عدسات المصوّرين
يتحدّثون عن حقوق الدجاج
ويوقعون في مغاطس حماماتهم على الصكوك
فإذا غادروا المغاطس
سكبوا مياهها في جيوبهم
وحملوها كالأطفال إلى بيوتهم على الأكتاف
لقد أودعوا مفاتيح زنازينهم لدى سلطات المطار
واستعاروا أجنحةَ الفراشات

وهم يبتسمون للأحزمة الناقلة
ومنافض السكائر
غداً عندما يعودون
سيخلعون ملابسَ لاعبي التنس
ويحجبونَ وجوهَهُم بنظاراتٍ معتمةٍ كالعميان
ليوهمونا بأنهم لا يرون من الطريقً
سوى أقدامهم
إنهم يخشون الرقباء
لذلك يصبغون أنيابَهم
بطلاء المعادن المقاومِ للصدأ

* * *

ألرجالُ المهذبون
يدخلون مراكز الشرطة
وهم يضعون بأفواههم رضّاعات الحليب
ويخرجون منها
وقد سقطت أسنانهم
ونبتت مكانها مسامير

ألآلـهة الحجريـة

ذاتَ مساء
نسيَ الحارسُ بابَ المُتحف مفتوحاً
وغفى
فانسلتْ هاربةً للدرب تماثيلُ أباطرةٍ وملوك

*** * ***

مذ تلك الأيام
أغلقتِ الأبوابُ على عَفن العظم المنخور
وأطاحتْ برؤوسِ الأحياءِ مناجلُ صدِئة

فالموتى عبرَ ثقوب الدودِ يعودون
ويديرُونَ قطارَ الحاضر
نحوَ النفق المسدود

*** * ***

مذ تلك الأيام
انتشرتْ في الأرض رياحُ الجُثث العفنة
وانبعثتْ من قمقمها
ألافُ الأعوام من القهر المكبوت
فالأيدي المجروحة ُمن فرطِ التصفيق
إذا سُئلتْ تختارُ البتر
وملايينُ الهاماتِ المرفوعةِ
تحنيها محضُ رصاصة

*** * ***

مذ تلك الأيام
تمارسُ تلك الأحجارُ القهرَ على الإنسان
تطفِئُهُ كالسيكارة بالرمل
فيحفر أخدوداً
تحشره إذ تخطب في الظلمة

كي يُبدي الإعجابَ برأسٍ محنيّ
ويدورَ كثورٍ حولَ كراسيها
* * *
منذ سَهَا عن حفظ أمانته الحارسُ
في المتحف ذات مساء
والإنسانُ يُسلّم هامته بطواعية المذلول
إلى الألهةِ الحجرية

1997

ألصراصير

ألنجدة ...
ألصراصيرُ في كل مكان
إنها معلقةٌ في السقف كالخفافيش
ألنجدة ..
مركباتٌ فضائيةٌ تطلّ عبرَ نوافذها
أعينٌ من زجاج
ألنجدة ...
جيوشٌ مجهولة
تطلقُ نيرانها من تحت الأسرّة
ألصراصيرُ في كلّ مكان
لم يعدْ بأستطاعتي الأكلُ ولا الشرب
فالصراصيرُ تملأ الصحونَ والكؤوس

لم يعد باستطاعتي النومُ
فالسجاجيدُ السودُ المتحركة
نقلتِ البيتَ على دواليب
لم تعد باستطاعتي قراءةُ الصّحف
والإصغاءُ إلى الراديو
ألنجدة ...
النجدة ...
إنني أدفعُ ثمنَ تساهلي مع تلك المخلوقات
كنت أرقبُها تتكاثرُ
وأقولُ لا بأسَ
مازلتُ سيّدَ البيت
ليَ الأفرشةُ والكراسي
ولها القمامةُ
وفتحاتُ المجاري
اليومَ ألقى الغريبُ اثاثي خارجَ البيت
وحوّلَ قطنَ وسادتي إلى دبابيس
ألنجدة ...
ملايينُ الدباباتِ الصغيرة

تزحفُ على ثيابي
ياصديقي سكرتيرَ مجلسِ الأمن القومي الروسي
إبعثْ لي برقيةَ تضامن
يارفيقي مديرَ مكافحةِ الأفاتِ الزراعية
يكفي أن تعطس لكي أشعرَ بالاطمئنان
ياعزيزي أميرَ الحربِ الأفغانية
لم تفلحْ حربُك في إبادة شعب
لقد قصّرتَ في اداء واجبكَ الإلهي
إنّ المزيدَ من المتفجرات
كفيلٌ بإجبارِ الناسِ على ارتداء العمائم
أقتلْ لإيقاف تكاثر الصراصير
أخافُ ان أموتَ
قبل أن أجدَ رجلاً شهماً مثلكَ
يبيدُها لي جميعاً .

1998

التعيس

أدخلِ القصرَ
وسمّرْ وراءَك الأبواب
لا تنظرْ من النوافذ إلى الشمس
أخرجْ لها يدكَ واجلدها بسوط
فالعرايا ينامونَ في السواقي
وأنين الجوعى يُقوّضُ الجدران

* * *

لا تحزنْ
فالألافُ التي تثقبتْ أعينَها صلابةُ السماء
أصبحتْ ملايينا
نَمْ في مغارة الكنز

متخذاً أكياسَ الذهب وسائد
لا دودَ ، ولا عفنَ
لا أنينَ ، ولا مستنقعاتِ
أللمعان يَطردُ الكوابيس
لا تنظرْ للمريخ
هناك صحراءٌ من الجليد
لا تأمنِ التاريخ
حيث الحروبُ والأوبئة
لا تقلبِ المجلدات
سيصيبُكَ الغبارُ بالحصبة
لا تضحكْ
ما تستهلكُهُ من الهواء بلحظة
يكفيكَ لعمرٍ من العُبُوس
فمُكَ المليءُ بالأسنان الذهبية
قاعةٌ مضاءةٌ بالمصابيح والشموع
من تُرى غرسَ قدميكَ الرخوتين
كزهرتين في مستنقعاتنا العفنة ؟
يا جاري التعيس

لن يجبرك أحدٌ أن تتشمّمَ أفواهَنا
وعلى فمكَ المنديل
دعِ البقّ لنا
فنحن نستلذ بلدغته
أبصقْ وراءَكَ
وانطلقْ
بعربتك التي تجرّها الكلاب
إلى النجوم

1996

مواجهة

قنابلُ الصمت التي نبلعُها
خوفاً من العيون والأذان والأحذية
سرعانَ ما تُفجَرُ في بطوننا
ناثرةً من حولنا القمامة

* * *

لابأسَ إن عشنا بلا أصدقاء
وراءَنا أقدامُنا تمشي
ونارُنا في طيّة الأثواب
وسيفنا المغمدُ في أجفاننا

يدفعنا
- بالرغم من إحجامِنا –
لساحة المواجهة

*****

لابأس إن عشنا بلا أصدقاء
لأنهم يحيون كالوباء في أرواحنا
وإننا ننقلهم عبر الهواء
مثلما تنتقل العدوى

1994

لقاءُ القتلة

مِن كلّ مدخنة أتوا
ليشرّعوا في الناس قانون الظلام
مستنفرين على الضحايا
كلّ ما في الغابِ من عَفنٍ ودود
من طيّة المجهولِ جاءوا
ناقعينَ القيحَ في قِرَب المياه
متلفعين بجلدة القتلى

* * *

ضفروا الحبالَ على المناضد
علقوا في الباب أسنانَ الضحايا
حمَلوا وثائقهم بتابوتٍ وطافوا بالأزقة

وتساقطتْ في البئر أسمالٌ منقعةٌ بدم
كانوا جميعاً يشهرون الأسلحة
متعقبين لهاثهم
مستنفرين غريزةَ الموتى على لعْقِ الصدأ
مثلَ العناكب
يمسحونَ سُلوخَنا بلعابهم
خرجوا فرادى من ثقوب أنوفنا
وتجمّعوا تحت الموائد والكراسي
يلحسون فُضالةَ الدم في الصحون
جاءوا من الجدب المُدنس يَلبسونَ طراوةَ الأشجار
وعلى الظلال الخضرِ ألقوا معطفَ المجذوم
لم يرأفوا بدموعنا
كانوا حشوداً من فؤوس تحتَ أغطية المنام

*** * ***

تركوا الجذورَ
تشقّ كالسكّين أشلاءَ الضحايا
واليومَ يجتمعون إقراراً لميثاق الجريمة

قد طالبوا بإشاعة الزهريّ
والموتِ الهواء
وبحق قطعانِ الكلاب على التبوّل في القبور

*** * ***

بدأوا حوار الصمت
ثم استُدرجوا نحو البصاق
أظفارهم ونيوبهم تستحلب النيرانَ والدخان
وسلاحُهُم
كان الخطيب على المنصّة

*** * ***

في أخر الليل انتهى وقتُ اللقاء
من تحت أيديهم تنوحُ حجارةُ الأبار
والأرضُ تعوي
والسماءُ بَليلةٌ من خجلةِ النجمات
لم يلجموا أحقادَهم
فوق المواقد كانَ قِدرُ السُمّ يغلي

فإذا تَفتّحتِ المنافذ ُلم يغادرْ من أحد
كانوا جميعاً ميّتين
أكلوا على الأعشاب بعضَهمو
وما أبقوا سوى عَفنٍ
يُغلغلُ في ثقوب
فلقد تحاورَتِ الأظافرُ والنيوب

1995

تحوّلات رجل مهم

أحدُ أصدقائي أصبح مديراً عاماً
* * *
في اليوم الأول
تلقى قُبلاتِ المهنئين
ورأسُهُ داخلَ كيسٍ من النايلون
* * *
في اليوم الثاني
أوصدَ فمَهُ بقفلٍ وزلاجات
فالبشاشةُ تنخرُ الأسنان
* * *
في اليوم الثالث
أمَرَ موظفيه بالإنحناء لقَدَمِهِ المضاءة كالمصباح

* * *

في اليوم الرابع
بنى في مكتبه قلعةً
وحصّنـها بمدفعية الميدان
وبرجال أشداء
يستعينون على فرائسهم بالأسُود والضباع
وخولـهم إطلاقَ النار على أية ذبابةٍ
تقضّ إغفاءَتهُ
وهو يرأسُ النائمين في قاعة الإجتماعات
*** * ***
في اليوم الخامس
جَلَدَ موظفيه
بنفس العصى التي تذمّرَ منـها
حين كان يُمدّدُهُ على ركبتِه المديرُ السابق
*** * ***
في اليوم السادس
حطم على رأسِهِ المناضدَ والكراسي
فالمنصبُ العظيمُ
خليقٌ أن يُتلفَ من أجلِه أتفهَ ما يملك :
أعصابَهُ

وحُبّ الأخرين

* * *

في اليوم السابع والثامن والتاسع والعاشر
فكّر بإيقاف مفعول المقولة التاريخية
ألتي تشكّكُ في دوام إدارته
ما دامتْ قد وصلته كالميراث
عبرَ عشرات الموتى

* * *

في اليوم الأخير
أخرجَ من أذنيه نِصفَ طنٍ من القطن
وقشورِ البرتقال
وقال لي : الأنَ بإمكاني أن أسمعَك
كان وقتُ النصح قد انتهى
فآثرتُ ألا أقولَ له
كنتَ محاطاً بالبلابل

قبلَ أن تحملَ بندقيةَ القناص
وبعد أن جُرّدتَ من البندقية
ظلتْ غاباتكَ تعاني الوحشةَ والصمت
فالنارُ تُتّقى بالإجتناب
وليس بالعبادة

1998

هجاء متأخر

ألسراة ... السُراة
ألسُراة الذين عباءاتهم من قماش الغيوم
كذبوا عندما أعلنوا أنهم من معادن خالقهم
لقد نسَلوا من قميصي كخيط السَدَاة
وصاروا على مغزل الكبرياء حبالاً
تلففُ جسميَ كالمومياء
وبالرغم من خللً في موازينهم
فما بيننا لم تزل أصرة
فلو ضحكوا تتفحّمُ أسنانيَ الناصعاتُ
كأنّ حَريقاً يشبّ بجوفي
* * *
بودّي لو أنا أنفضهم كالبساط
لتسقط من تحت جلدتهم هَيبَةٌ زائفة

لقد سَكَبوا نِصفَ عُمريَ
في أكؤس البائعين
وادّخروا نصفه المتبقي لمأدُبَةِ المشترين
ولو أهرقوا كلّ عُمري
فلستُ أصوّب ناري إليهم
مخافة أن تتمزق قمصانهم
فهيَ من نسجِ أوردتي وعروقي

*** * ***

أحاول ان أستفز السُراة
فأنفخهم كالفقاعة
ثم أعود لأثقبها
أثوابُهم من نصاعتها
قرّبتهم إلى مجهري
فرايتُ براغيثهم في حجوم الأسود
لذاك خلعت ثيابي
وألقيت نفسي إلى المحرقة

*** * ***

إنـهم حالمون
يخفون شاشات تلفازهم بسراويلـهم
ليستمتعوا وحدهم بالنساء
*** * ***
إنـهم عاطلون
فمذ نفذتْ كهرباءُ الخيانة من دمِهم
لم يعودوا يجيدون غير الشخير
*** * ***
سأهربُ من جنة قطنتها الشياطينُ
من بعد أن طردتْ أهلها للجحيم
سأحرق أمتعتي
وجواز السفر
شفاهي قد يبستْ وأنا بانتظار المطر
عيناي من بعد أنْ فسَدَ الحُلمُ
أصبحتا طعنتين على جبهتي
لماذا ننوح بأكفاننا عندما يَسكُتُ النائحون ؟
ألسُراة الذين على صهوة المجد قد وِلِدوا
ألقوا علينا قمامتهم
لتبدوا تواريخُهُم ناصعاتٍ

كأنّ صفائحَها بُليتْ بالجَرَب
وما كان ذنبهمو اننا نتتبّعُ أخطاءَهم
فنحن وَجَدنا على الأرض
مَن يتساقط من جيبه ذهَبٌ
فاقتفينا خطاه
ولكنهم قد مضوا راكضين إلى البحر
من بعد أن ربطونا بقعر الطشوت
فهل دمُنا دمُهُم ؟
أم انّ يدَ الله مَرَّت بأشواكهم
فصارت تُعبّأ منها الوسائد
ومَرَّت بنا
فاستحالتْ اصابعُنا حَطباً للمواقد

وجهٌ من نحاس

إلى ح . ي . ح

كم سيكفيكَ من الأصباغِ
كي تمحو ابتسامة ؟
وعلى بطنكَ تحبو مثلَ نِمرٍ
فرحاً
إذ يسخرُ الأطفالُ من نمرٍ بفروٍ كالقِماط
وستبقى
منذ أن ضيّعتَ عينيك بأكياس القمامة
ليس تدري من تكون
فلقد كنتَ تغني
قبلَ أن تغرسَ في فكّيكَ أنيابَ أسد

* * *

كم سيكفيك من الغِلّ
لكي تبتلعَ الإعصارَ ؟
أو تحبسَهُ في بوتقةِ ؟
كيف تبدو بجبين
نخرتْ فيه السكائر ؟
هل ستبدو كَمَلاكٍ ،
ضائع دون أبٍ وسط الغيوم ؟
أم ستبدو مثلَ وحشٍ دون نابٍ
جرّدتهُ صفعةُ الترويضِ من لبدتِهِ
فارتدى في الناس سروالاً
وشالاً من حرير ؟

* * *

كم سيكفيك من الاسمنت
كي تغدو جداراً ؟
إن آلافاً من الناس يطيرون كأسرابِ اليمام

والملايين سواهم
من ثقوب النـاي يَحسُونَ الدموع
كيف تحتَ الأرض تحيا كالدبيب ؟
حارقاً أحلامَكَ الخضرَ بأهة
حولك النـاسُ بساتينٌ وزهرٌ
وحدُكَ الراكضُ في ارضِ المغانيط
بنعلٍ من حديد

1999

ألامساك بالزمن

يوتوبيا

حين نبني مدينتنا الحالمة
سنسندُ منافذها بقيود معاصمنا
وبوديانـها سنحرّرُ أدمعَنا لتكونَ نـهوراً
ونـعجنُ أكبادَنا للصخور ملاطاً
ونَنـجُرُ أضلعَنا
لتكونَ قوالبَ فيـها نصبّ الأساس
ونرفعِ من زفرات الأنين سماءاً
ونـخفض هاماتِنا
أو نطيح بها
كي لا تُعيقَ انسيابَ الغيوم

ومن ثَمَّ نسكن في دعةٍ
بينَ جدران تلك السجون الفساح

*** * ***

سنبني مدينتنا من حُطام
وبين حدائقها
سوف ننقلُ بالرافعات العظيمة
أقدامَنا النازفات
نضحك من فرط أحزاننا
حدَّ أن تتمزّقَ أحشاؤنا
ومن كوّةِ السورِ نلقي مؤنتَنا للسِباع

*** ***

هكذا ارتفعتْ مثلَ حسراتنا الأبنية
وكانَ على كلِّ بابٍ صليب

1995

إنطباعات غير عفوية

ألصغار الذين بلا موعد
جُمِعوا أوّلَ العامِ في مدرسة
بعضُهم سيغوصُ بكأس الحليب
بعضهم يتسلل في جيب والدهِ
ويطلّ على الناس من تحت كُدس النقود
بعضهم سيواصل أنشودةَ النَوح
حتى لتطفو حقائبُ أصحابه
فوق مستنقعات الدموع
وكلهمو ينظرون إلى بعضهم
مثلما ينظرونَ إلى هاوية

ولكنهم بعد عامٍ من الكرّ والفرّ
يبتكرون لتَصخابهم لُعَبَاً
وبعدئذٍ
سوف لن يتركوا الصفّ إلا بثوب خليق

*** * ***

كذلك نحن الكبارَ
إذا ما ولجنا مكاناً غريباً
يهبّ بأوجهنا شبحُ الأبنية
فنجلس في البدء مضطربين
تخشخش سيقاننا في سراويلها
كأنّ نمور الطفولة
تربض خلف غصون كهولتنا
ولكننا بعد أن نتعوّدَ غابَ البشر
نصيرُ عقاربَ
تأكلُ من جَوعَةٍ بعضَها

كركوك 1968

أسكُبُها كالثلجِ بكأسِ الذكرى
فتذوبُ ،
وتصّاعدُ من قعر الكأسِ فقاعاتٍ
كركوكُ عناقيدُ الغيم على أغصانِ اليوكالبتوس
و(جواميسٌ) سودٌ مثلَ حبوب البُنّ
تخالطُ نهرَ اللبنِ الرائب
وهيَ الأشلاءُ المشتولةُ زيتوناً في (كاورباغي)
ورحى بيد الأخوةِ
تطحنهم تحتَ حِجارتِها

* * *

كركوكُ الشعراءْ
ومصاطبُ للعشق
تحلقُ معْ سربِ سنونو الأضواءْ

*** * ***

طلقاتُ القناصِ عليها ارتدّتْ للسبطانة
ولكم ماتتْ
لكنّ اللمعةَ لم تبرحْ أحداقَ الموتى
ولقد ظلتْ لاعبةَ الزمن الأولى
بالرغم من ان بيادقها انتقلتْ
ما بينَ أباطرةٍ وصعاليك

*** * ***

الليلُ البارد من فرط الخوف
يدّحرجُ عَبرَ السفح إلى القرية
مثلَ (براميل) البارود
مرّ زمانٌ
والفجرُ يجافي نولَ النسّاج

فالشمسُ المطليةُ بالقارِ
تُلمّعُ بسمتَها في (سوق القورية)
والقطعان اللابسةُ معاطفَ من بَرَدٍ
تتحرّرُ منها
لتُلاعِبَ قطعانَ النار ب (باباكركر)
لا عَتبَ على الحالم إذ يصحو ،
كي يغفو ثانية
فلقد نسيَ مفاتيحَ خزانتِهِ في الأحلام

* * *

أسألُ نيرانَ الزيتِ :
أما زالتْ تتوهّجُ عبرَ ثقوب الأضلاع ؟
أسألُ :
أيةُ أخطاءٍ تُغضِبُ أشجارَ التين
فتطلع أظفاراً ؟
وإلى مَ تظلّ (الخاصَةُ) من دون ضفاف ؟
ضائعةً ما بينَ الراعي والذؤبان

أهلكِ – ليس سواهم - فيكِ هم الغرباء
تشّابكُ أيديهم جسراً
يعبرُهُ وحشُ الطغيان

*** * ***

كركوك على الخارطة الوطنية
ثقبٌ حفرتهُ قذيفةُ مدفع

1993

نافذة ، وليلٌ ، وذكريات

خلعتُ أثوابي على الورد الذي
يرجفُ من برودة الأحلام
سهرتُ ليلي
مصغياً إلى أنين الحطبِ المحروق
أنتظرُ الشمسَ التي
تجمع في سلالها ما حصدَ الزمانُ من بَشَر
أعمدةُ الضياء كالمشانق
والأنجمُ المطفأةُ العيونِ كالعميان
وفي قطارات الشتاء
عُبّأتْ سحائبٌ سوداءُ في الحقائب
أسامرُ الكلبَ الذي ينبح أحزانَ النجوم
والقمرَ الساقطَ عبرَ فتحةِ المدخنة

* * *

أمس ِأنا بكيت
من دون أن أذوق للدموع طعم المر
فجلدتي تقرّنت من كثرة الطعنات
قد هربت وجوهُ أحبابيَ من نافذتي
قوافلاً
قوافلاً من دخان
لم تبقَ في جدران أعماقيَ إلا أطرٌ من دونما صُوَر
أدعو إلى مائدتي النجوم
لكنها تؤثر في البرد على مدفأتي العاصفة
أدعو إلى مائدتي الأشباح
لكنها تنسجُ من مخاوفي
شرنقة َالغسَق
قد هربتْ من غرفتي وجوه أحبابي
وبدّدتْ عاصفةُ النسيان أصداءَ القبل
لم تبقَ من أمطار ِأحزانيَ في الغرفة غيرُ الغيوم

أمطار النسيان

في الليل المثقوبِ بمحفار الضوءِ : نجوماً ، وأهلة
أتطلعُ للماضي
بعيونٍ رَمّدها السُهدُ
وأسألُ : أين تُراكِ الأن ؟
أيُ بحار تقتطعُ الأرضَ بمنشار ؟
في الليل الأعمى
أضربُ جدرانَ الآمال بعكّازِ الذكرى
وأراني كالطير الحائر
يدعوهُ المجهولُ إلى الهجرة
حيث عيونُ الغرباء قبورٌ

والصمتُ النازفُ فوقَ حِبال الأفقِ
كأثواب القتلى

*** * ***

أين تُراكِ الأن ؟
ألأحزان سلاسلُ من فولاذ
ألأفراحُ طيورٌ ليس تقرّ على أرض
وأنا بينـهما
أتأرجحُ مثلَ ذراعِ النـاقوس

*** * ***

لمّا تُطفيءْ بَعدُ غيوثُ النسيان الذكرى
ما زال بأثوابي لحريق الأمس دِخانٌ
كفكِ من خلل الغيبة
تطلقُ من زنزانة عُمري الشمس
كفكِ أخِرُ عصفور
غنى فوقَ غصوني قبلَ شُبوبِ النـار

*** * ***

مرّ قطارُ العمر
ما كنا نحسبُ أنا في حلم
وأسِرّتَنا المحمولةَ في الغيم إلى الفردوس
سيبلعُها الأعصار
مرّ قطار العمر وأيقظَ نائمة الذكرى
فعلى أيّةِ نافذةٍ
عَلّقتِ القمرَ السكران ؟
****
ألفُ سلامٍ – حيث تكونين – لعينيكِ
من أهدابهما قد نسجَ الليلُ ستائرَ للعشاق
******
ألفُ سلام لشفاه
زرعتْ فوق الأغطية البيض ِزهورَ الجوري
******
ألفُ سلام ليديك
فلقد أنجبتا من وادعةِ الأظفار
سلالاتِ نمورٍ وضباع

عَودٌ على خطاب
قسّ بن ساعدة الأيادي

كلّ الذين إلى الموت قد رحلوا
إستطابوا المكوثَ
وظلوا هنالك
يستنطقون الحصى والدبيب
لقد غيّبوا في الضباب
وذابتْ كما الثلجُ أجسامُهم
في كؤوس الغيوم
ولم يبقَ منهم سوى قَبَسٍ
حين يُومضُ
نعرف ساعتها أنّ أرواحَهم في حُبور

فبعضُ الذين سَروا في الصحارى
أسَرّوا : بأنّ النجومّ التي رافقتْ ركبهم
سامرتـهم كصحب
ومدّتْ إليهم خِوانَ الضيوف
وكانتْ كما النـاس
تحمل إسماً
وكان لـها ذات يوم على الأرض بيتٌ ، وأهل
ولمّا يزلْ أهلـها بيننا
يومضون وينطفئون

1994

ألوصيّة

جدّي الذي قد عادَ بعدَ الموت يسكُنُ بيتنا
أوصاكُمو خيراً بضيفٍ
سوف يأتي خِلسةً
أسماهُ بالمستقبل اللصّ الغَرور
فلتفتحوا للقائهِ أبوابَكم
كي لا يفِرّ من الجحور
لكنّ جدّي ماتَ ألآفاً من المرّات
في إثرها لمّا أجدْ ضَيفي الغريبَ مع التّريكة
نقّبتُ ، لكن لم تكن له بصمةٌ في غبرة الآثاث
قلّبتُ في (الألبوم)
لم أعثرْ لضحكتِهِ على أنياب
*** * ***

من أيّ بابٍ سوف يدخلُ بيتنا اللصّ الجميلُ ؟

بالنظرة الوسنى تُذيبُ عن المزاليج الجليد
بسلالِهِ
وثمارهِ
بقناعِهِ الملصوقِ خلفَ رؤوسِنا
من أيِّ نافذة إذن سيجيئُنا ؟
حيطاننا مملوطةٌ بالصمغ
جيراننا ألقوا إلى التنور أنفسهم
هروباً من طواحين السيول
ووراءَ باب البيت
تأكلُ بعضها البعض الوحوش

*** * ***

يا أهلنا المترقبين على المزابل زَخّةً من تِبرِ
لا تنطروا اللصّ الجميل
أيامُنا السوداءُ لا تَبْيَضّ بالصابون
لا تبحثوا عن ذلك المستقبلِ الضيفِ
الذي يأتي وأنتم غافلون
لا تبحثوا عنهُ
فما أدراكمو ما في حقائبِهِ

من الأشباح
تنفثُ من أصابعها الوباء

لا تبحثوا عنه
فما أدراكمو ما في معاطفِهِ
من السُحُبِ المليئةِ بالدِماء
لا تبحثوا عن موتكم
لا تبحثوا عن موتكم
ودعوه يفجَأْكم
وأنتم نائمون

1994

كوميديا الديك

تعَطلتْ ساعةُ البيت
فاستخدمنا ديكاً
أجرينا عليه بعضَ التحويرات
زرعنا بحنجرته كاتِمَ صوت
وحشرنا في مؤخّرتِهِ سَدّادة
هكذا ظهرتْ عليه أعراضٌ غريبة
تضاءَلَ عرفه
وخفّتْ حدّة رغباته
وتحوّل عنقه إلى بندول

* * *

حين كنا نستمتع بمخلوق جديد
كانت الدجاجات تعاني حرمانها من عشير
فقدتْ شهيتها للأكل
وانتصبَ ريشُها كأشواك القنافذ
وشرعتْ بنقر ونقيق
أثارُهُما على الجيران
أكثرَ مما هي على المتحاربين

* * *

في داخل بيتنا
استمرّ الديكُ في لعب دور الساعة
متخلياً عن واجبه المقدّس بتلقيح الدجاجات
أما مواعيدنا
فقد غلبَ عليها طابعُ الحِرص
ألذي تسللَ إلينا من ديك
يصرخ بحماس لإخراج السَدّادة من مؤخرتِهِ

في زحمة الحياة

في زَحمة الحياة
ننسى وجهَ مَن غادَرَ في قطار
ننسى دروباً
فوقها تيبّستْ أحداقنا من كثرة الانتظار
ننسى على الجذوع أسماءَنا
ترجفُ من برودة الأعمار
وربما نذكر أنّ طائراً
قد حطّ في أعماقنا
لكنما القناص قد أفزعَهُ فطار
نبحثُ في جَرّارة المكتب عن قلوبنا
فنوقظ الذكرى
من الموت الذي كفنها بالغبار

*   *   *

في زَحمةٍ مريرةٍ
ننسى وجوهاً في ظلام عمرنا كانت قناديلا
ننسى عيوناً
في جدار يأسنا دقتْ أزاميلا
ننسى الأياديَ التي قد نُسِجتْ
فوق وساد الدمع منديلا
في زحمة الحياة
قد نبني على عيوننا جدران
وربما ننتزع القلوب من أحشائِنا
لنطعمَ الحيتان
مخلفينَ أهلنا في زورق مُثقّبٍ
يغرق في بحيرة النسيان
أشدّ ما أخشاهُ
أن أسأل في المرآة نفسي : من تُرى أكونُ ؟
أو أينَ تُرى رأيتُ هذا الوجهَ قبلَ الأن ؟

أقنعة

أحلام رجل دائمِ اليقظة

أحلمُ ألا يلدغني ثعبانٌ
يخرجُ من كُمّي ساعات النوم
أو من كمّ حبيبي ساعات عناق
أحلم
ألا يوقظَني في الفجر عواءُ ذئاب
ألا أصحو من نومي بفراشٍ منقوعٍ بدَمٍ
ألا يغدو الشارعُ ساحةَ حرب
والجيرانُ يحدّون لبعضهمو أنيابَ الثار
* * *

أحلمُ ألا آكلَ من لحمي
أو لحم صديقي
بل حتى من لحم عدوّي
ألا أغسلَ كلّ نهار قدمي بالأطياب
كي أوهمَ شُرْطيّ الأمن بأني نبتة غار

*** * ***

أحلم – بعد العودة منهوكاً – للبيت
أن أتحرّر من سلطان الخوف
أغلقُ من خلفي الأبواب
وأطلق في صدغي النار

1994

إندلاعُ حريقٍ في غابة

ألقطاراتُ محمّلةٌ بالصدأ
والليالي تُساقط أنجمَها في السلاسل
أصبري
فالحرائق تمحو من الأفق أثارنا
إذا ما قضينا اختناقاً
فأيةُ ريح ستحمل أرواحنا للسماء ؟
ستسحقها تحتَ أضلافها البُهُمُ الفزعة
اناديكِ
لكنّ صوتي تبددهُ خشخشاتُ السلاسل
ورأسي دخانُ الحرائق ينفخُهُ كفقاعة
وهمهمة الجند حولي

وهم يحملون توابيتهم فوق أكتافهم
يسيرون للنصرِ في ذلةٍ
أنفاسهُم عاصفَاتُ غبار
وأقصى طماحٍ بان يوهَبوا العمرَ اسرى
نشيدٌ حزينٌ
وفي الأعين الراكضات وراء القطار
تخالطَ دمعٌ بدم

***   ***

أمِن أجل الا نزاحمَ في الرزقِ كلبَ المطاعم
حُرمنا من النوم تَحتَ المطر ؟
وازدحمتْ في السماءِ رؤوسُ الصواريخ
كي لا تدنسَ أقدامُنا الطرقات
ألرصاص الذي طاش في الفجر
عادَ باروا حنا في السلاسل
فليس لنا مهرب
بعد أن شَرُدَتْ في دخان الحريق الجياد
وليس لميتتنا من كفن

***   ***

أفي كل يوم نبيع منازلنا للغريب
ونقعى باظلال أسوارها إتقاءَ الهجير ؟
وندفنُ أعمارَنا في تراب الملاجئِ
خوفاً من الرُجُمِ الساقطات
بلادي
تخيّرتِ ثوبي لحربكِ راية
فايٌّ جلالٍ لثوبٍ خليق ؟
تنادين موتَى
فلا حملتْ راحةَ ُلكِ جُرعةَ ماء
ولا أنقذ َالهاربون البقيّة
وقتلى حروبك
يستصرخونَ رجال الكمارك
الا يسدوا الحدود
ولو فُتحتْ
سوف يهرب حتى الهواء
ومثل بساط الرياح تطير السهول
لقد كانت الراسياتُ الجبالُ مع الناس تسكنُ بيتاً
ولكنها اليوم

تبحث فوقَ خرائط غربتها عن جذور
أصرخُ بالعشبِ حَدّ التوسل :
إبقَ هنا للربيع

وايتها الطيرُ
فلترجئي هجرةَ َالصيفِ للسنة المقبلة
ويا دمعَ أحبابنا في المهاجر
إغسلْ سخامَ الحرائق عن أوجه الماكثين
لم يبقَ من وطني غير مَيتٍ بدون كفن
أصبُعُهُ يَبُستْ
وهيَ تومئُ نحو الحدود

1996

هدوءُ العاصفة

قبّعاتُ الجنودِ التي ثقبتها الشظايا
منثورةٌ في موائد قادتِهم ككؤوس الجّعة
ألسماءُ تسافرُ في قاطرات
وقد هشّمتها المطارق
أو هشّمتْ كزجاج النوافذِ أنجمَها
فعُدْ لنغنِّ
وادعُ الملائكةَ الهائمين
أنْ يستريحوا بشاطيء أهاتِنا
ويغتسلوا في خمور المَلال بأجفاننا
وبعدئذٍ ليعودوا لأفرشَةِ الثلجِ

في عالياتِ السماء

* * *

ـ ألجسور تسافر
حاملة في حقائبها النهر والضفتين
ـ أغاني المُحبين
مثل البصاق تخرّ على الشفتين
ـ ألوردُ يبحثُ عن ملجأ في عُرى الثوب
لكنّ ريحَ اليباس تفاجئه
ـ دماءُ الأضاحي
مع الفجر تقطر عبر صدوع المباني
ذكّروني ـ إذا ما نسيتُ ـ
بمحنة مَن في رياح التغرّب يفتقدون حقائبهم
أحشروا تحت ثوبي الغيوم لأبكي
قدماي أنا وتدان
على صخرة القهر مغروزتان
أنا متعبٌ
حتى الهواء يلامس جلدي بسوط

خيالاتيَ الشاردات
عناكبُ ملصوقةٌ فوق عيني بصمغ النعاس
أسافر دوماً
لكنني لا أبارح رجل السرير
بل انّ المدائن تقصدني
وهي محمولة في حقائب سرّاقها
فتلقي على كتفيّ شواطئها
وتخفي بشَعري عماراتها
فتعرقل مشطي

* * *

أسئلتي ليس تفضي
بل هي تقتادني مغمض المقلتين إلى هاوية
أجوبتي ليس تنجي
أجوبتي كالثقوب بطوق النجاة

* * *

رفعنا العصائبَ
لكننا لم نزلْ لا نرى
ولمّا تزلْ خوَذُ الجُند منثورةً كالقبور
تُحَوّمُ أرواحُ من قُتلوا باكياتٍ عليها
إذنْ فلنعدْ
طرُقُ المَجد ليستْ بسالكةٍ
بَهُتَ الماسُ ،
فهو قرينُ الحِجارة

1992

ألسّلالمُ العاليـة

لا بأسَ
سنلقي بأنفسنا من الطوابق العُليا
لنتصافحَ في طريقنا للسقوط
أو نتعانقَ
أو نعيدَ إحكامَ أربطةِ العُنق
لقد حوّلتنا الطوابقُ العُليا إلى أعداء
ننظرُ إلى بعضنا عبرَ فوهات البنـادق
ونرسل الكلابَ إلى السوق
تتبضّعُ نيابةً عنا

* * *

ركضنا في الدهاليز
كمن تطارِدُهُ أسرابُ النحل
ما عدنا نقيس حرارة َالهاتف
لقد حطمناهُ تحتَ أقدامنا
وصنعنا من الحطام عَلفاً للدجاج
هكذا يمرّ العمرُ ثقيلاً
كقذيفة من البصاق

*** * ***

ما عدنا نفتحُ الأبوابَ تحية ًللنائمين
انشغلنا بالبحثِ عن الكنز
في بالوعةِ المطبخ
وتدلينا كالخفافيش في غرف النوم
مشدودين من أرجلنا بحبل

*** * ***

ربما نتعانقُ

لكنّ الشمسَ ترسمُ ظِلالنا على الجُدران
مشتبكاتٍ في حَالةِ عِراك
لا بأسَ
عندما نُلقي بأنفسنا من الطوابقَ العُليا
سيعانقُ مودّعاً بعضُنا بعضاً
ويقولُ لهُ : اذكرني عندما ترتطمُ بالأرض

* * *

مللنا من انوفنا التي نشهرُها كالسيوف
سننزلُ من السلالم
لنزحفَ على الأرض
ونتغزلَ بسيقانِ المنضدة
لا بأسَ
نحن بحاجةٍ إلى المزيدِ من الزحف
حتى يتهرّأ لحمُنا
ويخرجُ من داخلنا الطفلُ الذي
أوشكتْ أن تقتلهَهُ
طبقات من الشّحم المسموم

تبادلُ الأخطاء

قصائدي
أكتبُها لليل كي ينجلي
قبيلَ أن أطلقها
مثلَ الحماماتِ على السّائحين
فالروح في أقفاصها إن لم تكن بلبلاً
فانها ذبابةٌ تطنّ تحت اللحاف

*** * ***

لما أعدْ اخجلُ من عَثرتي
أسيرُ كالأحدب تحتَ صخرة الألم
وأتبعُ الشيطان فهو توأمي

نستبدلُ الأخطاءَ فيما بيننا
كأننا نستبدلُ القمصان

*** * ***

لطالما أيقظتُ جيرانيَ نصفَ الليل من غفوتهم
من أجلِ أنْ أقسِمَ سُهدي معهم
بالعدلِ وِ القسطاس
لمّا أعد أخافُ أعدائي
أسلمتهم أسلحتي
ليحرسوا جفني إذا ما نمتُ
كي لا تهربَ الأحلام

*** * ***

قصائدي جبيرتي
أنحتها للروح خوفَ انكسار
وانها أشرعتي
امنحُها لكلّ من يعتزمُ الإبحار

لمْ نمتْ بعد

لمّا نزلْ نتنفسُ
عبرَ الثقوب التي فتحتها الرصاصاتُ فينا
لمّا تزل كلماتُ الوداع
باعماقنا تتهاوى كصخرة
ومن فرط أدمعنا نستغيثُ :
أنقذونا من الطوفان

* * *

وبالرغم من اننا غارقون

فاهاتنا كافياتٌ لأن نتنفس تحت الدموع
قضينا من العمر أكثرَهُ نتسلق تلك السلالم
من أجل أن نبلغ المشنقة
وفي موقع بالسماء
يعدُّ الملائكة الغاضبون لتضييفنا حزمةً من سياط
أنغفو ؟
وفي فرُش النوم كومُ الإبر
أنمضي ؟
وكل المسالك مسدودة بالذئاب

*** * ***

ولمّا نمتْ نحن بعدُ
أجفاننا دُبغتْ للنيام نعالاً
وللحاكمين شرايننا نسجتْ جورباً
والشياطينُ تحت وسائدنا
خبّأوا كل ما في كوانينهم من رجوم

*** * ***

ولمّا نمت نحنُ بعدُ
برغم سياط
أحالت جماجمنا لسلال قمامة
فاهاتنا كالسكاكين تدمي حناجرنا
واظفارنا ـ حين نغفوا ـ
تظلّ مسهّدةً وهي تحرس أهدابنا
وحينَ تَسُدَ يدٌ من حديد ثقوبَ مناخيرنا
نتنفس عبرَ المسام

* *

... ولما نمتْ نحن بعد
ففوق مناكبنا
بصمت قدم الذلِّ بالوحل صورتَها المخجلة
وحتى إذا نحنُ متنا
فإنَّ صفيرَ السياط سيوقظنا

1996

قِلاعٌ من فلّين

ليس لي من منجم الأيام ذِكرى
كلّ ما أملكُهُ
يسرقهُ في الغد غيري
لم يعد وجهي جميلاً
قضمتْ منه ثعابينُ السنين
خنجري يقطر قيحاً
وغنائي صوتُ ناقوس خشب

* * *

أخرجوا من تحت قمصاني
لكي أسهرَ مع قمليَ في ضوء النجوم

عندما أنشجُ لا يصغي أحد
ألصراصيرُ تبيتُ الليلَ سَكرى في المزابل
عندما أضحك تدمَى راحتاي
هكذا لُقنتُ
أن أبقى طريداً
فلقد سَمّمَتِ الطلقاتُ أنهارَ الأمان
زرعوا الأرض دمامل
فعيوني كدبوسين بوجهي
عندما أبصر ذلي تُوخزان
* * *
يَتها العمياءُ دليني الطريق
أسمعيني ما حُرمتُ اليومَ من لحن العناد
أنا أبكي يتها العمياءُ كيما تبصري
وإذا أبصرتِ
تلقي ضوءَها فوقي النجوم
ثم تمضي مُطفآتٍ
بين أقمار عُمَاة

1996

قنابل موقوتة

لا بُدّ أن يذاع كلّ سر
فهو وإن أودع تحت الثرى
لا بُدّ أن ينبشَهُ الزلزال

* * *

لا تكتموا أسراركم
فتلكم الأجساد في هُزالها
هيهات أن تطيق تلك الجبال

* * *

لا تكتموا أسراركم
خوفاً من النار التي تضرمها الفضيحة

فإنها هيهات أن تحتاجَ يوماً زيتكم
لأنها توقد دون زيت

* * *

لا بدّ للضوء الذي يدّخر الصباح للسجين
من كوّة خلالها ينفذ عصفور الآمل
لا بُدّ للأحزان من مطرقةٍ
كي لا تجزّ هدبها الدموع

* * *

لا بدّ للضحكة من ناب يُحَدّ بالحصى
كي لا يصيرَ الضحك صنوَ البصاق

* * *

لا بدّ أن يحملَ كلّ واحد في عنقِهِ مِرآة
كي لا يظنّ أنّ ما يُخفيه من قمامَةَ ألماس
لا بدّ للسرّ من الذيوع
فكتمُهُ يجعله في الصدر يغدو قنبلة

أنفُ بينوكيو

نُفرِطُ من كَذِبٍ حين كنا صغاراً
فلا تتبدّلُ بعضُ ملامِحِنا
فماذا تغيّرَ حينَ كبرنا ؟
ينفّخنا الكذبُ مثلَ الفقاعة
وتحتقن الأوجُهُ الشاحباتُ
ومن خجلةٍ تستطيلُ الأنوف
كأنّ أياديَ للشمس تخرج من فتحات مناخيرنا

* * *

وبالرغم من ضربات المطارق فوق مناكبنا
لكننا ما غطسنا بقاماتنا تحتَ دَوسِ الخِفاف
بقينا نجرّرُ من خلفنا كالذئاب الجريحةِ أشلاءَنا
وأحداقنا تتأرجح
مثلَ الفوانيس في الأعمدة
فلو أكرهونا على الإمتثال أمام الذين
أخاطوا حلاقيمنا بالإبر
سنفتحُها بالكَلاليب
كيما نحرّر من سجن أسنانِنا البَسَمَات
سنضحك ضحكاً هو القيءُ
لكنه من صهير الحديد
فتفجؤنا - وهيَ تثقبُ مثلَ البريمة - تلك الأنوفُ
جدارَ ابتساماتِنا الباكياتِ

*** * ***

وإذ تتكسّر من شدّة البرد أرواحنا
ويسترُنا بَدَلَ الخِرَق البالياتِ الجليدُ
نقول لمن سلخوا جلدَنا ليخيطوا معاطفهم :

إنّ راحاتِكم مَنحتنا من الدفءِ أغطيةً، وخياما
وفوق الجليد الذي سوف يدفننا
تبينُ أنوفٌ لنا رُكِزت مثل راية

*** * ***

... وفوق المضامير
حين ركضنا نسابق خيلَ الرياح
لم يتقدّمْ علينا سواهُ لهاثُ قلوبٍ
تكادُ تَقافزُ من تحت أضلعنا لتصيرَ لنا قدمين
وبالرغم من اننا أولُ الواصلين لخط النهاية
لكنّ كأسَ البطولة صارَ إلى الكُسحاء
والحاملين كروشهمو فوقَ أكتافهم في سِلال
نعم ، هكذا قد سكبنا كؤوسَ انتصاراتهم
فوق نار مرارتنا
ورحنا نُربّتهم
ونهنّيء في ضعفهم حقهم بالغِلابِ
ومن خلف أهدابنا الناديات ضحِكنا لمن غلبونا
ضحِكنا

وقد خرجتتْ من بحيرة أدمعنا
مثلَ كفّ الغريق الأنوف

*** * ***

ولم نشتَكِ البَردَ
ما دامَ أسيادُنا في دِثار
فليس لنا ـ بعد ما قد جرعنا من المُرّ ـ غيرُ الدُعاء :
إلهيَ على حِملنا زِدْ جبالاً حديدا
إلهيَ كثّفْ عَصِيرَ الظلام ليصبحَ قاراً
إلهيْ أدِمْ نعمةَ العُري إنّ المواسم قيض
ومن تحت أبخرةِ الدعواتِ
التي تتَصَاعدُ من جوفنا
تطلّ لنا غابةٌ من أنوف

أذار - 1999

طائرُ الوهم

عذراً
فأنا لستُ أجيدُ سوى الأحلام
أطلقُ رأسي يرعى بين الغيم
وعلى صدري
ينشرُ آلافُ البدو مضاربَهم
وينامون

* * *

أدركتُ بأنّ يدي تُمسكُ أشباحَ العتمة
تغسلها

وتفلي فروتَها
وتعدّ لها في دنيا الناس بيوتاً
وعلى جسدي
تتفتتُ أقنعتي كالورق اليابس
لكنّ غصوناً نادية ً
تطلعُ من ثقبَيْ أذنيّ

*   *   *

أدركتُ بأنّ الأسماكَ
تنفذ عبرَ غرابيلي لمجاري أنفاسي ودمائي
ظناً منها أنّ كُلايَ شِعابٌ من مرجان
أمشي فوقَ الحبلِ وعيني مغمضة ٌ
فإذا زلتْ قدمي
تتلقفني فوّهة ُ التنور

*   *   *

أدركتُ بأني لا أصلحُ إلا أن أحلم

أحمل حيث تنقلتُ
مِظلاتِ هبوطي من طائرة الوهم
هذا قدري
فلقد لُصقتْ في قدمي غيمة

1979

قبّعة الساحر

أخرجُ من قبعتي فأراً
أخرج قطاً
فيشبّ نزاع ينفرط الحفل به
وأسدّدُ من أجري ما كَسَرَ الخصمان

* * *

أخرج من قبعتي كنزاً
وأنا أحسدُ
من يدفعُ عن قدميه البردَ بجوراب ٍ مثقوب

* * *

أخرج سكيناً صوبَ عدوّ موهوم
لكني لا أخرج من قبعتي أعدائي
فهمو ليسوا في قبعتي
بل في عيني

*** * ***

أخرج من قبعتي غيماتٍ جائعةٍ
تبلع كلّ القاعة مثلَ وحوشٍ من دخان

*** * ***

أخرج أسرابَ فراشاتٍ
للشمس تطرّز ثوباً عاري الأكمام

*** * ***

أخرجُ من قبعتي أعوادَ ثقاب

كي أحرقَ قبعةَ الساحر
أو أحرقَ راحاتٍ
تتلقى كذباتِ الساحر بالتصفيق

ألمحتويات

في حدود الحبّ

ألخروج من سلطة الضدّ

ألامساك بالزمن

أقنعة

- لم نمت بعد
- قلاع من فلين
- قنابل موقوتة
- أنف بينوكيو
- طائر الوهم
- قبعة الساحر